السرطان

وخلاصة البحث عن سببهِ وعلاجهِ

يعلم قراء المقتطف انهُ تألفت لجنة من كبار العلماء في بلاد الانكليز في اواخر سنة ١٩٠٢ للبحث عن سبب السرطان وعن افضل الطرق لعلاجهِ وجُمعت لها الاموال الوافرة لتمكنها من هذا البحث. وقد اصدرت هذه اللجنة الآن تقريرها الثالث وضمَّنتهُ خلاصة اعمالها وما وصلت اليهِ بعد البحث الدقيق والعناء الشديد ومفادهُ ان سبب السرطان غير معروف حتى الآن وحقيقتهُ غير معروفة ايضاً ولم يكتشف لهُ علاج يمكن استعمالهُ فيشفيهِ او يقي منهُ وخير الوسائل النجاة منهُ حتى الآن نزعهُ بعملية جراحية

نعم ان اللجنة لم تكتشف علاجاً يمكن استعمالهُ لشفاء الانسان من السرطان او لوقايتهِ منهُ ولا عرفت حقيقتهُ ولكنها حققت اموراً كثيرة مما يرجَّح انهُ يوصل الى ذلك وسنبين خلاصة الامور التي حققتها في ما يلي وهي

اولاً ان السرطان كثير الانتشار جداً فقد حققوا ان الذين يموتون في بلاد الانكليز وسنهم ٣٥ سنة فاكثر يكون منهم رجل مصاب بالسرطان من كل احد عشر رجلاً وامرأة مصابة بهِ من كل سبع نساء اي تسع الرجال والنساء يموت بالسرطان فلا تكاد عائلة تخلو منهُ وانما يجتمع عشرة الآف منهم واحد على الاقل مصاب بهِ . ولم يثبت حتى الآن ان هذا الداء آخذ في الازدياد كما زعم البعض ولا ثبت انهُ بين الامم المتمدنة بالتمدن الاوربي اكثر منهُ بين غيرهم من الامم . وقد زعم البعض انهُ نادر في بلاد اليابان ولكن الاحصاءات الحديثة اثبتت انهُ غير نادر بل هو كثير فيها كما في غيرها

ثانياً ان السرطان يصيب كل الحيوانات ذوات الفقار كما يصيب الانسان فلا تسلم منهُ الاسماك كما لا تسلم منهُ الحيوانات العليا حتى الانسان

ثالثاً ان اكثر حدوثهِ في الثلث الاخير من عمر الحيوان سواء كان عمرهُ الطبيعي طويلاً او قصيراً

رابعاً لم يثبت انهُ ينتقل بالعدوى كالامراض المعدية فقد وضعت الوف كثيرة من الفيران المصابة بهِ مع غيرها من الفيران السليمة منهُ في مكان واحد واستمرَّ ذلك ست سنوات متوالية اي نحو ثلاثة اضعاف عمر الفار الطبيعي فلم تعدِ السليمة من المصابة

بمطلقاً ولم يعدّ احد من الناس الذين كانوا يجرون التجارب فيها . ويقدّر ان في انكلترا وويلس نحو خمسين الفاً من المصابين بالسرطان فهو كان معدياً كالجدري لانتشرت العدوى منهم الى غيرهم وعمّ البلاء لكنهُ ينتقل بالتطعيم اي ليس لهُ ميكروب يمكن تجريدهُ من الجسم الحي ونقلهُ من حيوان الى آخر كميكروب الدل والكوليرا والتيفويد بل لهُ ميكروب يبقى عالقاً بالجسم الذي هو فيهِ فاذا قطعت قطعة من ذلك الجسم اي من الورم السرطاني وطُعّم بها حيوان آخر اي زرعت في جسمهِ غت فيهِ وأُصيب بالسرطان . اما الناس الذين يظهر السرطان فيهم فلا يكون تولّدهُ فيهم بالعدوى وكذلك الحيوانات التي يظهر فيها من تلقاء نفسها لا يكون ظهورهُ بالعدوى بل يتولّد في الحالين تولّداً على ما يظهر

خامساً ان انتقال السرطان بالتطعيم يكون على هذه الصورة : — اذا قطعت قطعة من ورم سرطاني في فارة وطُعّمت بها فارة اخرى فبعض حويصلات تلك القطعة ينمو وبعضها يموت فالحويصلات التي تنمو هي الحويصلات السرطانية والتي تموت هي الحامل لها . والحويصلات التي تنمو تولّد ورماً سرطانياً في الفارة الثانية فاذا قطعت منهُ قطعة وطُعّمت بها فارة ثالثة اصابها ما اصاب الثانية اي ماتت الحويصلات الحاملة ونمت الحويصلات المحمولة المتولدة من الحويصلات السرطانية . وتختلف الحويصلات الحاملة باختلاف الاورام السرطانية اما الحويصلات السرطانية نفسها فلا تختلف على ما يظهر ولكنها لا تستطيع ان تعيش من غير الحويصلات الحاملة لها

سادساً . ان السرطان لا ينتقل من حيوان الى آخر من غير نوعهِ فلا ينتقل من الفار الى الجرذ ولا من الجرذ الى الفار بل ينتقل من الفار الى الفار ومن الجرذ الى الجرذ

سابعاً ان نسبة الورم السرطاني الى ميكروب السرطان او الى الحويصلات السرطانية كنسبة الشجة الى الجنين اي ان الورم يغذي الحويصلات السرطانية لا غير

ثانياً ان الاورام السرطانية المختلفة لا يستحيل بعضها الى بعض كأنّ الحويصلات السرطانية لا تولّد الاّ نوعها

تاسعاً ان صغار الحيوانات اقبل من كبارها لان تتطعّم بالسرطان مع ان السرطان يظهر من تلقاء نفسهِ في الكبار اكثر مما يظهر في الصغار . ونريد بالصغر والكبر هنا السن لا الجسم

عاشراً اذا اختلفت نوعات النوع الواحد من الحيوان عسر على الحويصلات السرطانية ان تنتقل من نوع الى آخر في اول الامر ثم يسهل عليها ذلك بعد حين فقد طعموا فيراناً انكليزية بمادة سرطانية من فيران دنماركية فلم يُصب منها بالسرطان في اول مرة الاّ خمسة

في المئة ثم نقلت المادة السرطانية من هذه الى غيرها من الفيران الانكليزية فزاد فعلها رويدًا رويدًا واخيرًا صار السرطان يظهر في ٩٠ في المئة من الفيران المطعمة كأن في جسم الحيوان شيئًا يمنع بعض الدقائق السرطانية من النمو فيهِ ولا يمنع البعض الآخر فتزول الاولى وتنمو الثانية وتتكاثر وتستأثر بالحيوان

حادي عشر انهُ يمكن جعل الجسم غير قابل لنمو الحويصلات السرطانية وذلك بان يطعم الحيوان بمادة سرطانية مأخوذة من حيوان اخر مثلهُ مصاب بالسرطان عند اول ظهورهِ او بنسيج سليم من حيوان سليم . وتشتد الوقاية في الحالة الثانية اذا قابل العضوان كما اذا طُعم ثدي فارة سليمة بمادة من ثدي فارة اخرى سليم او مصاب بالسرطان في اول ظهورهِ . وما يصدق على الفارة يصدق على الجرذ ولكن الفارة لا تقي الجرذ والجرذ لا يقي الفارة . والمادة السرطانية المأخوذة من السرطان الجلدي مثلاً تقي من غير السرطان الجلدي ايضاً ولكن وقايتها من السرطان الجلدي اتم وقس على ذلك بقية انواع السرطان . وقد ظهر ان بعض انواع السرطان متشابه وبعضها متخالف فالمتشابه يقي بعضهُ من بعض والمتخالف لا يقي او ان وقايتهُ قليلة

ثاني عشر ان الحيوانات التي لا تُعدّى بالسرطان لا يخرج منها مصل يقي منهُ او يشفي منهُ . ولا يوجد حتى الآن مصل يشفي من السرطان بعد ظهورهِ ونموهِ . والام التي لا تعدى بالسرطان لا تنتقل المناعة منها الى نسلها كما يحدث في الدفتيريا فالوقاية من السرطان المشار اليها آنفاً خاصةٌ بهِ ولا مثيل لها في غيرهِ من الامراض المعدية . والظاهر ان الحيوان الذي يوقى من السرطان لا يعود جسمهُ قادرًا على تقديم الحويصلات اللازمة لنمو حويصلات السرطان فتموت تلك الحويصلات لقلة الغذاء او تضعف وتفترسها خلايا الجسم المعروفة بالفوغوسيت التي تفترس الاجسام الغريبة والميكروبات المرضية وتحمي الجسم منها . ولا يعلم كيف تتم هذه الوقاية في الجسم كلهِ ولكن ما تقدم يفسر لنا كيف يشفي السرطان لذاتهِ احياناً ويدعو الى الامل بالوصول الى طريقة لعلاجهِ وشفائهِ او لوقاية الجسم منهُ

ثالث عشر انهُ يمكن جعل الجسم شديد القبول للسرطان كما يمكن جعلهُ غير قابل لهُ فاذا نما فيهِ ورم سرطاني سهل نموروم آخر سرطاني آخر فيهِ . ولذلك لا يسهل ان يوقى حيوان ظهر السرطان فيهِ كما يسهل ان يوقى حيوان لم يظهر السرطان فيهِ

هذه اهم الامور التي رأينا فائدة من اقتطافها لقراء المقتطف وهي تدلُّ على ان البحث عن حقيقة السرطان وعلاجهِ لم يزل في دائرة الامتحان ولم يخرج الى دائرة العمل حتى الآن والظاهر ان العلماء المشتغلين بهذه المباحث قد امتحنوا كل العلاجات التي وصفت للسرطان

فلم يجدوا لها نفعاً حقيقياً ولكنهم وجدوا امراً لا يستطيعون انكارهُ وهو ان السرطان يشفى احياناً لذاته فان كانت حوادث الشفاء المنسوبة الى بعض العلاجات المجرَّبة صحيحة وتلك العلاجات لا تفيد دائماً الفائدة المنسوبة اليها فذلك يشير الى ان الشفاء حدث في الحالين من سبب آخر ولعلهُ فعل نفساني يقوي دفائق الجسم على التخلص من دقائق الداء

اما ما قيل من فائدة التطعيم فهو السبيل العلمي المفتوح الآن لاكتشاف طريقة لمعالجة السرطان ولا يبعد ان يصل العلماء بهِ الى الغاية المطلوبة في هذه السنة او التي تليها لان دائرة البحث قد ضاقت واتَّجهت الى هذه الجهة . وتبقى الصعوبة في امتحان التطعيم الواقي في الناس فانا لا نظن ان احداً يسلِّم بان يُطعَّم بمادة سرطانية على امل انها تقيهِ من السرطان بعد ذلك كما توقى القارة بالتطعيم ولامَن يجيز ذلك لان التطعيم قد يعدي الانسان ولا يقيهِ . ولا وجه للتطعيم بمادة غير سرطانية حيث لا دليل على احتمال تولُّد السرطان . ولكن يُحتمل ان يتطوع احد الاطباء المعتقدين صحة التطعيم لامتحان التطعيم فيهِ ومتى ثبت ان التطعيم قد وقاهُ من السرطان اي لم يعد السرطان يظهر فيهِ ولو طُعم بهِ يقتدي بهِ غيرهُ من الذين ثبتت لهم فائدة التطعيم الى ان يشيع ويصير الناس يقدمون عليهِ من انفسهم كما يقدمون الآن على التطعيم الواقي من الجدري . ويحتمل ايضاً ان تبيح الحكومات امتحان التطعيم الواقي من السرطان في المحكوم عليهم بالقتل . والاحتمالان بعيدان واقرب منهما ان تكتشف طريقة لشفاء السرطان بالتطعيم بعد ظهورهِ كما تشفى الدفتيريا ولا صعوبة حينئذٍ في الامتحان

واننا نرى في المباحث العلميَّة امراً غريباً تختصر بهِ الطرق الطويلة الشاقة فانك تجد جمهوراً كبيراً من العلماء يبحث في جهة واحدة ويحقق ويدقق كأنهُ قصر نظرهُ عليها دون سواها وتصد ان يستقصيها الى آخرها واذا بعالِم آخر او عويلم قام في جهة اخرى واكتشف امراً جديداً لم يكن في الحسبان او انتبه الى حقيقة لديهِ اغفى عنها غيرهُ من العلماء فوصل بها الى الغرض المطلوب من اقصر سبيل كما فعل مورس في اختراعهِ التلغراف المنسوب اليهِ وكما فعل مركوني في اكتشافهِ التلغراف الذي لا سلك لهُ . وعسى ان يوفق الناس الى اكتشاف الدواء الشافي او الواقي من هذا الداء الوبيل سواء كان بالبحث والتقصي او بالعثور والاتفاق